

العمارة الإسلامية في ليبيا من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة فيما بين

القرنين 5 - 8 هـ / 11 - 14 م دراسة في التراث المادي

أ. د. علي محمد سميو

جامعة مصراته

الملخص:

تمثل فنون العمارة والبناء المرآة الحقيقية لتراث أي أمة، وماضيها الخالد، وقد صور الجغرافيون والرحالة ما تمتع به أهالي إقليمي برقة وطرابلس من تطور في مجال فنون العمارة خلال الفترة ما بين القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين/ القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلاديين إذ تمثل هذه الفترة التاريخ الإسلامي لليبيا، وحُسن البناء وتطوره، وهو ما نستشفه من خلال العديد من النصوص التي وردت في كتاباتهم المتعددة.

وتكمن أهداف الدراسة في النقاط الآتية.

- 1- محاولة نفخ الغبار عن ذلك الإرث التليد والتاريخ المجيد ، للعمارة الإسلامية في ليبيا.
 - 2- إبراز أهم معالم تلك الفنون المعمارية باعتبارها تراثاً يجب المحافظة عليه.
 - 3- التعريف بتلك الفنون المعمارية وإيضاحها للنشء والأجيال القادمة كونها تشكل تاريخاً يجب إبرازه والمحافظة عليه.
 - 4- محاولة إبراز التراث الحضاري المعماري خاصة الموجود منه والحفاظ عليه.
- أهمية الدراسة: ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- دور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على تراث وتاريخ المعمار الإسلامي وإيصاله إلى أذهان الطلاب والأجيال القادمة والتعريف به؛ لأنه يمثل الهوية الوطنية لكل الليبيين.

2- التعريف بتاريخ العمارة الإسلامية ومراحل تطورها بمختلف أشكالها وألوانها.

3- محاولة التعريف وإبراز واقع التراث المادي للبلاد الليبية وما يتعرض له من إهمال وتشويه.

تتمثل إشكالية الدراسة: في محاولة الإجابة على العديد من التساؤلات وذلك للتعريف بتلك المنشآت المعمارية وكيفية المحافظة عليها.

- ما هي الكيفية المثلى للحفاظ على هذا التراث والإرث التاريخي للبلاد الليبية وحمايته من الضياع ومن عبث العابثين؟
- وما هي الآلية في المحافظة عليه؟
- وما هو دور المتخصصين في مجال الآثار والتاريخ في ذلك؟
- وما سبب عزوف الحكومات التي توالى على حكم ليبيا عن الاهتمام بها إلى وقتنا الحاضر؟

لقد تم الاعتماد في هذه الورقة البحثية على المنهجين التاريخي السردى والوصفي في محاولة لجمع المعلومات من المصادر التاريخية القديمة المعاصرة للفترة الزمنية للدراسة؛ بالإضافة إلى محاولة الوصول إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: (برقة- طرابلس- قصور- أسوار- مقابر- رحالة- جغرافيين).

Abstract:

The arts of architecture and construction represent the true mirror of any nation's heritage and its immortal past. Geographers and travelers have depicted the development enjoyed by the people of Cyrenaica and Tripolitania in the field of architectural arts during the period between the fifth to the eighth century AH / the eleventh to the fourteenth century AD, as these represent... The period of Islamic history of Libya. A period that indicates good construction and development, which we can see through many of the texts contained in their various writings.

The objectives of the study lie in the following points.

- 1 - An attempt to dust off that ancient legacy and glorious history of Islamic architecture in Libya.
- 2 - Highlighting the most important features of these architectural arts as a heritage that must be preserved.
- 3 - Introducing these architectural arts and making them clear to young people and future generations that they constitute history that must be highlighted and preserved.
- 4 - Trying to highlight and preserve the architectural cultural heritage, especially the existing one.

The importance of the study: It can be summarized in the following points:

1 - The role of educational institutions in preserving the heritage and history of Islamic architecture, conveying it to the minds of students and future generations, and introducing it to represent the national identity of all Libyans.

2 - Introducing the history of Islamic architecture and the stages of its development in its various forms and colours.

3 - An attempt to define and highlight the reality of the material heritage of the Libyan country and the neglect and distortion it is subjected to.

The problem of the study is the attempt to answer many questions in order to introduce these architectural structures and how to preserve them.

In this research paper, we have relied on the narrative historical approach and the descriptive approach in an attempt to collect information from ancient historical sources contemporary to the time period of the study in an attempt to reach the desired results of this research.

Keywords: (Cyrenaica- Tripoli- palaces- walls- cemeteries- travelers- geographers).

مقدمة:

من خلال البحث فيما كتبه الجغرافيون والرحالة فترة ترحالهم وتجوّالهم في العديد من المناطق والمدن والقرى الليبية حاولنا قدر الإمكان استقراء وجمع النصوص من مضامينها للوصول إلى أشكال تلك المعالم والمباني التي كانت موجودة خلال فترة الدراسة وقراءتها وتحليلها، للوصول إلى طبيعة الحياة الاجتماعية وحياة المجتمع الليبي وإمكانياته في مجال العمارة والبناء.

والجدير بالذكر أن السؤال الذي يطرح نفسه لذا القارئ، قوله لماذا تمّ الاعتماد على المادة العلمية على كتب الجغرافيين والرحالة دون الاعتماد على كتب التاريخ ؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن في كون أن كتب التاريخ لم تشير لا من بعيد ولا من قريب عن العمارة الإسلامية في ليبيا فترة وجود الحكم الإسلامي إلا في نصوص بسيطة مقتضبة، لا ترتقي للاعتماد عليها في وصف عمارة بلاد لهذه الفترة الزمنية الطويلة. عكس الجغرافيين والرحالة الذين كان جُلّهم مروا بالمنطقة وكانوا شهود عيان وكانت كتابتهم كما شاهدت أعينهم.

أولا/ المساكن والشوارع:

تمثل المساكن والشوارع الصورة الحقيقية التي تعطي الجمال والأناقة لأي مدينة أو قرية، وباستقرار الناس في مكان ما، تظهر إبداعاتهم في البناء والتشييد الذي من خلاله تظهر الملامح الحقيقية لمعالم حضارتهم وتطورهم، وإلى أي مدى وصل التقدم والتحضر عندهم. وقد تحدّث البعض من الجغرافيين والرحالة الذين مروا ببرقه وطرابلس عن عماراتها، وجمال مبانيها واتساع شوارعها، فيقول ابن حوقل عن مدينة أجدابية وعن المواد التي استخدمت في بناء دورها ومنازلها: "... وبناؤها بالطين والأجرّ وبعضها بالحجارة"⁽¹⁾، كما وصف مدينة سرت بأن: "... عليها سوراً مبنياً من الطين"⁽²⁾، وهو ما يؤكد المقديسي بقوله: "... وأجدابية عامرة، بنيانهم حجارة على البحر...."⁽³⁾، ويأتي بعدهم البكري ليؤكد أن بناء المساكن كان يتم بالطوب والحجارة، حيث يمدنا بنص بالغ الأهمية عن أسلوب التغطية في بيوت مدينة أجدابية بما نصه: "... وليس لمباني مدينة أجدابية سقوف خشب إنما هي إقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها..."⁽⁴⁾، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه استخدام عنصر القباب في التغطية في العمائر خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وربما قبل ذلك حسب رواية البكري، كما تكمن أهمية النص أيضاً في أن هذا الأسلوب في التغطية جاء نتيجة مؤثرات بيئية تمثلت في العامل المناخي السائد في إقليم برقة آنذاك، وقول الرحالة أن ليس لمبانيها سقوف خشب، أن رأوا في مناطق أخرى أقل

(1) ابن حوقل، أبي القاسم محمد، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 70.

(2) المصدر نفسه: ص 70.

(3) المقديسي، أبو عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، لينن، 1909 م، ص 224.

(4) البكري، أبو عبد الله عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليفون، اندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، 650/2.

رياحًا من أجدابيا بها مبانٍ سقوفها من الخشب رغم عدم وجود نص صريح بذلك. ويبدو أن هذا الأسلوب من البناء قد ظل مستعملًا إلى ما بعد القرن الخامس الهجري، حيث ذكر كل من صاحب كتاب الاستبصار، وياقوت الحموي، والحميري، عند حديثهم عن مدينة إجدابيه قولهم: ".... وليس لمبانيها سقوف خشب، إنما هي قباء من الطوب لكثرة الرياح بها...." (5).

ويشير الجغرافيون والرحالة إلى أن مناطق الواحات والبادية البعيدة نسبيًا عن ساحل البحر والمؤثرات المناخية الساحلية، قد بنوا مساكنهم من القباطين والخيام وبيوت الشعر، وهو ما يوضحه البكري أثناء حديثه عن الطريق من طرابلس إلى ودان مارًا ببلدة هواره نحو الجنوب⁽⁶⁾، ويقول التجاني في حديثه عن برقة وجدها بأنه شاهد ركبًا قادمًا منها ذكروا له: "... أنهم كانوا يمرون في كثير من أرضها بالأحياء والخيام فيها مضروبة،...." (7)، ويقول أيضًا التجاني عند حديثه عن قرية زنزور بأن "... مساكنها دور مبنية،..." (8).

أما الشوارع فتختلف من مدينة إلى أخرى بحسب حجمها واتساعها، وليس هناك أبلغ من نص الرحالة ابن رشيد السبتي في حديثه عن مدينة طرابلس في وصف شوارعها ومبانيها إذ قال: "... وبها مدينة حسنة الوضع رائعة الصنع، والمدينة

(5) مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 144، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابوعبدالله، معجم البلدان، دار بيروت، بيروت، 1979م 100/1، الحميري، محمد بن عبدالله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، دار العلم للطباعة، بيروت، 1975م، ص 12.

(6) البكري، المصدر السابق، 660/2، كذلك: ياقوت الحموي، المصدر السابق، 365/5-366.

(7) التجاني، ابومحمد عبدالله، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص 191.

(8) المصدر نفسه: ص 214-215.

بجملتها حسنة البناء متسعة الشوارع، حتى كأنها تحاكي شيئاً ما من وضع الإسكندرية....⁽⁹⁾، كما حظيت طرابلس باهتمام كبير من التجاني، لما تمتاز به من استقامة واتساع ونظافة، وفي ذلك يقول: "... ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعاً واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية، فالماشي يمشي بها مشي الرخ خلالها...."⁽¹⁰⁾.

ومما سبق نستخلص أن المباني السكنية في إقليمي برقة وطرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين، خاصة منها القرية من ساحل البحر، وخيام وبيوت شعر وقياطين في مناطق جنوب الواحات، والتي عادة ما يكون سكانها يعتمدون في حياتهم ومعاشهم على تربية الحيوانات والرعي.

ثانياً/ القصور:

جمع قصر⁽¹¹⁾، وهو عبارة عن حصن متوسط المساحة، وقد يكون حصناً كبيراً، وقد يبنى إلى جانبه حصن آخر وحصن ثالث، وقد يحدث أن يتسع العمران فتتسأ مدينة صغيرة أو كبيرة⁽¹²⁾، وكان الغرض من بنائه هو تحصين السواحل

(9) ابن رشيد السبتي، ابوعبدالله بن عمر، رحلة ابن رشيد، مخطوط الاسكوريال، تحت رقم: 1736، ص 1، نقلا عن: محمد يوسف نجم، إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر، بنغازي، ص 116-117.

(10) التجاني، المصدر السابق، ص 237.

(11) أطلق على القصور اسم "المناظر" على الساحل الشامي، وقد حل محله اصطلاح جديد في العصر المملوكي، هو لفظ "المربق"، ويبدو أن أهل الأندلس استعملوا اصطلاحاً ثالثاً هو لفظ "الطلائع وعرفت في شمال إفريقية باسم القصور والرباطات= مجموعة من الباحثين، معالم الحضارة الإسلامية، ص 197، كذلك: محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، أغسطس 1988م)، العدد 128، ص 135-136.

(12) محمد عبد الهادي شعيرة، الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، المؤتمر التاريخي من 16-23 مارس 1968م، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص 237.

والدفاع عنها من أي اعتداء خارجي، كما ظهرت القصور في الواحات الجنوبية، وقد ورد ذكرها في كتابات الجغرافيين والرحالة بأعداد كبيرة وإن اختلفت التسمية من جغرافي إلى آخر، فبعضهم يذكرها باسم قصور، والبعض باسم الحصون، والبعض باسم رباط وإلى ذلك. وكان أول من طالعنا كتاباته عن القصور في برقة وطرابلس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الجغرافي البكري الذي اعتمد عليه الكثير من الجغرافيين في هذا الصدد، وقد ذكر منها: قصر أبي حليلة، قصر الشماس، قصور أجدابية وهي ثلاث، قصور الفاروج، قصر ابن ميمون، قصر مغمداش، قصور فزان، قصور جاوار، وقصور كوار⁽¹³⁾.

ويعد الإدريسي أشهر من تحدث عن القصور خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث ذكر أن القصور الواقعة بين طرابلس وسرت سبعة قصور وهي: قصر المجنتي، ورداسة، زغوغا، تاورغاء، المنصف، قصور حسان، مغمداش⁽¹⁴⁾ [الأصنام]⁽¹⁵⁾، كما ذكر الإدريسي العديد منها في المنطقة التي بين سرت وبرقة والتي منها: قصر العبادي، اليهودية، العطش، منهوشة، بئر الغنم، الفاروخ، حرقة، بوسمت، سلوق⁽¹⁶⁾. وتعتبر قصور حسان أشهر هذه القصور على الإطلاق إذ تناولتها كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين⁽¹⁷⁾، يقول ياقوت الحموي عن تاريخ إنشائها: ".... كان

(13) البكري، المسالك والممالك، 649/2، 651، 653، 659-661.

(14) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص 224.

(15) الإدريسي، أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط1، بيروت 1840م، 314/1.

(16) المصدر نفسه، 315/1.

(17) وردت هذه القصور عند الكثير من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- البكري، المصدر السابق، 653/2.

- العياشي، ابوسالم عبد الله، الرحلة العياشية، فاس، 1316 هـ، ص 102.

- الحشائشي، محمد بن عثمان، رحلة الحشائشي، تحقيق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط1، بيروت،

1965م، ص 196.

عبد الملك بن مروان⁽¹⁸⁾ سيرّ حسان بن النعمان الغساني إلى أفريقية لمحاربة البربر فواقعهم فهزمهم، فرجع عنهم وأقام بأفريقية خمس سنين، وبنى في مقامه هناك قصوراً نسبت إليه إلى هذه الغاية...⁽¹⁹⁾، ويحدثنا ابن سعيد عن قصر أحمد بقوله: "... وهو آخر حد أفريقية حيث الطول 41 درجة و 22 دقيقة، والعرض مع خط الإقليم الرابع، وفي عرضه قصور مسراته تمتد 12 ميلاً...⁽²⁰⁾، كما تحدث عن مدينة سرت وقال إنها: "... من القواعد القديمة المذكورة، ... وقد خربها العرب ولم يبق منها إلا قصور يسكنها أتباعهم...⁽²¹⁾، وقد عدّ الرحالة العبدري هذه القصور الموجودة في

- ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، راجعه: علي عبدالواحد، 107/2-108.

- ابن عبد الحكم، عبدالرحمن بن عبدالله، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص 63.

- البلاذري، الإمام أبي الحسن أحمد، فتوح البلدان، تصحيح: عبدالقادر محمد، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص 140.

- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالواحد، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1980م، 32/4.

- ابن عذاري، ابوالعباس أحمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان ولفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 بيروت، 1978م، 26/1.

- النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبدالعزيز الاهواني، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1883م، 36/24.

- ابن أبي دينار، ابوعبدالله محمد، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، تونس، ص 62.

- البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن، مراصد الإطلاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، ط1، 1954م، 110/3.

(18) عبد الملك بن مروان من أعظم خلفاء الدولة الأموية، تولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 65هـ فضبط أمورها، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير = الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط3، 312/4.

(19) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 366/4.

(20) ابن سعيد، أبي الحسن علي بن موسى المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970م، ص 146.

(21) المصدر نفسه، ص 127.

مدينة سرت ونواحيها وذكر منها: الشبكة، المرية، الصعافنة، وقال في غالبها يطلق عليها قصور سرت⁽²²⁾، ويستمر العبدري في الحديث عن القصور أثناء مروره بأرض برنيق وقد عدها: القمانس وهي ثلاثة قصور متقاربة، قمينس، جليط، قصر أجدابية، كما ذكر أثناء مروره بمسراته أن هناك قصوراً قديمة ما هي إلا قصور مسراته التي ذكرها ابن سعيد المغربي⁽²³⁾، ويقول أبو الفدا عن مدينة طلميثة بأن "... بها قصراً فيه يهود تحت خفارة العرب، وهو عبارة على هيئة برج كبير (24)".

أما التجاني بحكم استقراره بإقليم طرابلس وضواحيها فقد ذكر هو الآخر العديد من القصور والحصون التي لم يذكرها قبله أحد ومن هذه القصور: قصر المحرس، وقال عنه: "... إنه قصر قديم البناء... أهله قوم من هواره، كانوا ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بني خيار فأجلتهم العرب..."⁽²⁵⁾، وفي حديثه عن زوارة الصغرى ذكر بأن أمامها قصر يسمى "وُزْدَر" قد مُحي رسمه وبقي اسمه وتخرب أكثر البناء الذي يحف به ولم يبق من أهله إلا أناس قليلون، سكنوه حباً للوطن، وهذا القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به من الحجاج وغيرهم للنصارى، ... وكان هذا الفعل فيهم كثيراً شائعاً فيما تقدم، أما الآن فقد قل ذلك لقلّة العابرين به..."، ويذكر التجاني من القصور "قصر تلليل" ويصفه بأنه حصن في رأس تل مشرف على البحر وتحف به دور كثيرة معمورة بالبربر، كما ذكر أنه مر بقرية بلماية التي بها قصور مرتفعة متفرقة، وتحدث عن قصور زنزور وهي كثيرة، وقد استولى الرمل على

(22) العبدري، ابو عبدالله محمد الحاحي، رحلة العبدري، تحقيق: احمد بن جدو، منشورات كلية الآداب، الجزائر، سلسلة رقم (1)، ص 85، 235، 236.

(23) المصدر نفسه: ص 235 - 236.

(24) ابو الفدا، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، تحقيق: رينو ودي سلان والبان ماك ديسلان، باريس، 1870م، ص 149.

(25) التجاني، الرحلة، ص 85.

أكثرها، ويجاروها الجامع الذي بجواره قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم يقال إنه أول قصر بني بزنزور.⁽²⁶⁾

وفي مجمل حديثه عن تاجورة قال إن بها "... قصر متسع يشتمل على دور كثيرة، وفي وسط هذا القصر حصن أقدم بناءً منه، وذكر في أعالي وادي الرمل عند سفح الجبل قصر يعرف بصيبار وهو معمور، وبالقرب منه القصر المعروف بقصر فارة، ويقابله في أعلى الوادي القصور المعروفة بقصور الورانيز، كما ذكر قصر صرمان ووصفه بأنه قصر كبير يأوى إليه أهلها، ومن القصور التي ذكرها "حصن سلمى" وهو في أرض مسلاته، وقد دارت به دور كثيرة.⁽²⁷⁾

ثالثاً/ الحصون والقلاع والمحارس: أهتم العرب المسلمون بتشييد القلاع والحصون والمحارس ومختلف الاستحكامات في فترة صدر الإسلام للدفاع عن الثغور والحدود، وقد اعتبرها الإسلام من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال. ولما كانت الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقية، كان من الضروري ضمان سلامة الحاميات وتأمين البلد ضد تهديد الهجمات من الخارج، وهو ما جعل المسلمين يستفيدون من الحصون البيزنطية القائمة السليمة، كما قاموا بإعادة بناء المتهدم منها، وبنوا حصوناً جديدة تحسباً لأي اعتداء مفاجئ.⁽²⁸⁾

لقد أشار الجغرافيون والرحالة في كتاباتهم إلى هذه التحصينات، فيقول البكري في حديثه عن وادي مغيل بأنه: ".... عبارة عن حصن منيع...."⁽²⁹⁾، ويقول

(26) المصدر نفسه: ص 209-210، 214-215.

(27) المصدر السابق، ص 307، 309، 310، 316، 318.

(28) أمورييس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، (المغرب، 1990م)، ص 96.

(29) البكري، المسالك والممالك، 2/649.

ياقوت الحموي عن مدينة ودان بأنها قلعة حصينة⁽³⁰⁾، وهو ما يؤكد أن بناء الحصون ليس مقتصرًا على السواحل بل تم بناؤها في مناطق الواحات، وفي ذلك يقول أبو الفدا: "وزالة مدينة صغيرة وهي حصن منيع...."⁽³¹⁾، أما إقليم برقة فقد ذكر الإدريسي مدينة طلميثة بقوله: ".... وهي عبارة عن حصن شيد عليه سور وحجارة عشرة أميال..."⁽³²⁾، ووصف ياقوت الحموي برقة بأن: ".... لها ساحل يقال له أجيه وهي مدينة بها منبر وعدة محارس على ستة أميال من برقة..."⁽³³⁾، ويصف المراكشي الطريق من القيروان إلى الإسكندرية بأنها تتميز بكثرة حصونها، وفي ذلك يقول: ".... وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان، تمشي فيها القوافل ليلاً نهارًا، وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جدًا، فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التتوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويخذرون عدوهم، ولم يزل هذا معروفًا من أمر هذه البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون...."⁽³⁴⁾.

ومما سبق تبدو الصورة واضحة في أن إقليمي برقة وطرابلس كانا زاخرين بعدد من الحصون والقلاع والمحارس، وبالرغم من تباين التسميات لها، إلا أن هدفها واحد وهو الدفاع عن الثغور والحدود والمدن سواء في المناطق الساحلية أو في

(30) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 365/5.

(31) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 128.

(32) الإدريسي، نزهة المشتاق، 308/1.

(33) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 289/1.

(34) عبد الواحد المراكشي، عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط1، بيروت، 1998م، ص 249.

مناطق الواحات، وهو ما جعل الفقهاء يصنفونها تصنيفاً يضعها في عداد الواجب لاسيما إذا كانت الحاجة ملحة لاستخدامها في الدفاع عن حرمان المسلمين وديارهم⁽³⁵⁾.

رابعا/ الأسوار والأبواب:

كانت المدن في الزمن القديم تعتمد في الدفاع عن نفسها على مدى قوة أسوارها وتحصيناتها ومناعتها، وعلى مقدرة أهلها في الدفاع عنها، فكلما كانت الأسوار والتحصينات قوية ومرتفعة استطاع أهلها العيش في أمن وسلام.

وكتابات الجغرافيين والرحالة عن مدن إقليمي برقة وطرابلس لا تخلو من الإشارات التي تدل على وجود الأسوار المنيعة عليها، والتي عادة ما تكون لها أبواب في نواحي متفرقة . يقول اليعقوبي في مجمل حديثه عن مدينة برقة: "... وعليها سور وأبواب حديد وخندق، أمر ببناء السور المتوكل على الله⁽³⁶⁾،...."⁽³⁷⁾، وهو ما يدل على أن بناء هذا السور قد تم زمن الدولة العباسية، بيد أن لم أجد ذكراً لهذا السور عند الجغرافيين والرحالة فترة الدراسة، مما يدل على اندثاره أو انهياره قبل حلول القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ويقول ابن حوقل في حديثه

(35) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص 135-136.

(36) المتوكل على الله: تولى الخلافة بعد أخيه المعتصم سنة 232هـ/ 847 م كان في عهده الأتراك مسيطرين على الوضع، حاول أن يحد من نفوذهم، ولكنهم فتكوا به ليلاً قبل أن يتمكن منهم وكان ذلك سنة 247هـ/ 861 م ومنذ ذلك الوقت سيطر الأتراك على الدولة وأصبحت في أيديهم = أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص 124.

(37) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، فتوح البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد أمين قناوي، منشورات محمد ببيزون لنشر الكتب السنة والجماعة، دالر الكتب الوطنية، بيروت، 2002م، ص 181، ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر، الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، لندن، 1891م، م7، ص 343.

عن مدينة سرت: ".... بأنها ذات سور منيع من طين وطابية...." (38)، وقد حدثنا عنه البكري بقوله: ".... وعليها سور طوب، ولها ثلاثة أبواب قبلي وجوفي وباب صغير إلى البحر،" (39)، وهو ما يؤكد كل من الإدريسي وياقوت الحموي (40)، حيث ذكر الإدريسي بأن سرت: ".... عليها سور تراب...." (41)، كما يحدثنا عن مدينة أجدابية بقوله: "...مدينة في صحاح من حجر مستو كان لها سور فيما سلف..."، ويبدو أن الإدريسي قد شاهد بقايا هذا السور لقوله: "... وأما الآن فلم يبق منها إلا قصران في الصحراء...." (42)، ويصف ابن سعيد مدينة طبرق بقوله: "... وبقيت أسوار هذه المدينة تدل على قدمها،..." (43)، وهو ما يدل على أن هذه الأسوار قد تم بناؤها قبل دخول المسلمين لبرقة.

ويعتبر سور طرابلس محط أنظار جميع الجغرافيين والرحالة الذين مروا بها، حيث لقي من الوصف ما لم يلقه أي معلم آخر من معالم المدينة، فذكره المقديسي بقوله: ".... وطرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل، لها باب البحر وباب الشرق وباب الجوف وباب الغرب...." (44)، ويقول البكري في وصفه لسور طرابلس: "... وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان،، إنما بنى سور مدينة

(38) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 70، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 149.

(39) البكري، المسالك والممالك، 651/2.

(40) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 206/3.

(41) الإدريسي، نزهة المشتاق، 298/1، كذلك: الحميري، الروض المعطار، ص 312.

(42) الإدريسي، المصدر السابق، 311/1.

(43) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 147.

(44) المقديسي، أحسن التقاسيم، ص 224.

طرابلس مما يلي البحر هرثمة ابن أعين⁽⁴⁵⁾، حين ولايته القيروان،...." ⁽⁴⁶⁾، ويقول صاحب كتاب الاستبصار عن سور طرابلس: "....والبحر يضرب في سورها من حجر جليل من صنعة الأولين...." ⁽⁴⁷⁾، وأشار أيضًا القزويني إلى هذا السور بقوله: ".... ولها سور منحوت من الصخر...." ⁽⁴⁸⁾.

ويعطي التجاني وصفًا دقيقًا للسور وأبوابه، حيث شاهده ووقف عليه أثناء ترميم وتجديد الأهالي له، فقال: ".... ورأيت بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها، وسبب ذلك أن لأهلها حظًا من مجباها، يصرفونه في رم سورها وما تحتاج إليه من مهم أمورها، فهم لا يزالون أبدًا يجددون البناء فيه ويتداركون تلاشيته بتلافيه، ورأيتهم قد شرعوا في حفر خندق متسع يرومون أن يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد، وابتداء حفره من الركن الذي بين القبلة والشرق، وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه "بالرملة" وهو حقف رمل متسع لاصق إلى جانب السور ولا يزالون أبدًا يتكفون نقله من ذلك الموضع، فإذا اجتهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر أعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره، واختصاص ذلك الموضع بذلك الكثيب من الرمل من أعجب الأشياء...." ⁽⁴⁹⁾.

(45) هرثمة ابن أعين: ولاء هارون الرشيد على إفريقية سنة 189 هـ، وقدم إليها في يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من نفس السنة، وولى هرثمة على طرابلس الوالي سفيان بن أبي المهاجر، وفي أيامه آمنت الناس واستراحت من الثورات، ولكن البربر أشعلوها من جديد، مما جعله يستقيل سنة 181 هـ وسجنه المأمون لاثهامه بممالأته لإبراهيم بن المهدي ومات في السجن 200 هـ = الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2، مصر، 1962م، ص 152.

(46) البكري، المسالك والممالك، 655/2، ونقل عنه: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 25/4.

(47) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 110.

(48) القزويني، زكريا محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م، ص 408.

(49) التجاني، الرحلة، ص 238.

ويختلف الباحثون في تاريخ بناء السور، فبعضهم يرجعه إلى الفترة اللاحقة للقرن الثاني الميلادي⁽⁵⁰⁾، وذكر البعض أن مدينة طرابلس ظلت مدينة صغيرة حتى تولى قيصر الروم أسفاروس الحكم، فأمر بإحاطة المدينة بسور من جميع الاتجاهات ما عدا البحر الشمالي الشرقي⁽⁵¹⁾، وفي العهد البيزنطي نال سور طرابلس شيئاً من الإصلاح، وظل قائماً حتى الفتح الإسلامي⁽⁵²⁾، حيث قام عمرو بن العاص بهدم السور⁽⁵³⁾، وفي ذلك يقول التجاني: ".... واحتوى عمرو بن العاص على المدينة فهدم سورها وارتحل عنها، ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبد الرحمن بن حبيب⁽⁵⁴⁾ المتغلب على أفريقية في آخر دولة بني أمية سنة اثنين وثلاثين ومائة، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى ولاية هرثمة بن أعين على أفريقية من قبل هارون سنة ثمانين ومائة، فهو الذي ابتناه على يد ثقته زكريا بن قادم⁽⁵⁵⁾، ثم زاد في اثقانه ورفع

(50) مجموعة من الباحثين، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، منشورات اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس، 2007 م، ص 204.

(51) الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1، طرابلس، 1968م، ص 23-25.

(52) فانت البنا، محافظة طرابلس دراسة في جغرافية العمران، رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 1977م بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص 36.

(53) نجم الدين غالب، طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978م، ط2، ص 70.

(54) هو عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع، كان من أنصار كلثوم، ومن المنهزمين في معاركه مع عكاشة إلى الأندلس سنة 123 هـ، وهو أول متغلب على إفريقية، واستقل بها أيام حكمه عن بني أمية وخلع طاعة أبي جعفر المنصور = الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح، ص 128.

(55) هو أحد خواص هرثمة، كلفه بالإشراف على بناء سور طرابلس = المصدر نفسه، ص 152.

بنائه من جهة البر والبحر معاً أبو الفتح زيان الصقلي⁽⁵⁶⁾ متولي طرابلس عام خمسين وأربعين وثلاثمائة...." (57).

ويذكر التجاني أنه كان يحيط بهذا السور في زمنه: "... فيصل آخر أقصر منه على العادة في ذلك يسمونه "الستارة"، ولم يكن في القديم وإنما أمر ببنيانه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان من سنة أربع عشرة وستمئة - رأيت هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبد الله- ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة، فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس، ... ويقابل باب الستارة المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هواره، نسبة إلى من نزل به في أول الزمان...." (58).

هذه العناية التي نوه إليها التجاني توضح المدى الذي وصلت إليه استحکامات طرابلس الدفاعية التي استوفت متماتها الأساسية بسورها العظيم الذي يحيط بها، فهو طوقها الأمني من ناحيتي البحر والبر على مَرِّ الزمن، على أن هذا

(56) كنيته أبو الفتوح، ولاء إسماعيل المنصور عاملاً على طرابلس، وقام بأعباء الحكم فيها، وعنى بإصلاح سور المدينة، وزاد في جميع جهاته البرية والبحرية في أيام المعز الفاطمي سنة 345 = المصدر السابق، ص 191.

(57) التجاني، الرحلة، ص 239-240، كذلك: الحشاشي، الرحلة، ص 33، ابن ناصر الدرعي، أبو العباس احمد بن محمد الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم 10030 ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 818 جغرافيا، نقلاً عن علي فهمي خثيم، الحاجة من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، دار الفكر، طرابلس، 1974م، ص17، علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع (طرابلس، 1993)، ص 186.

(58) التجاني، الرحلة، ص 240، 245.

السور المحيط بالمدينة من جهاتها المختلفة خماسي الأضلاع، وبه أبواب مخصصة لدخول السكان والغرباء وخروجهم، ذكرها التجاني بأسماء مختلفة: باب الستارة، باب هواره (باب عبد الله)، الباب الأخضر، باب البحر، باب البر⁽⁵⁹⁾.

ومما سبق نستخلص أن الأسوار في إقليمي برقة وطرابلس ارتبط بناؤها بالمدن الكبيرة حيث مركز السلطة، وغالبًا ما تكون لها أبواب عليها حراسات مشددة، وما هي إلا استكمالات للتحصينات الداخلية والساحلية التي بنوها أو جددوها من حصون وقلاع ومحارس، حيث تجتمع في نهاية المطاف نحو هدف واحد وهو حماية البلاد من أي اعتداء داخلي أو خارجي مرتقب، حيث كانت المنطقة خلال هذه الفترة مصدرًا للعديد من القلاقل والثورات والانتفاضات.

خامسا/ الحمامات والفنادق:

من الملامح المعمارية في مدن برقة وطرابلس وما شد انتباه الجغرافيين والرحالة الحمامات والفنادق، وهي عادة لا تخلو مدينة كبيرة منها. ولو نظرنا إلى الموقع الذي يتميز به إقليمي برقة وطرابلس، إذ يمثل حلقة وصل بين المغربيين والمشرقيين سواء تجارًا أو حجاجًا أو عابرين سبيل من ناحية، ومحطات للاستراحة والمتاجرة من ناحية أخرى، وهو ما جعل أهالي هذه المدن يهتمون بإنشاء الحمامات والفنادق، وقد ذكر الجغرافيون والرحالة أثناء حديثهم عن مدينتي برقة وطرابلس وجود الكثير منها، ففي حديث البكري عن مدينة سرت قال: "إن بها حماما،...." وذكر

(59) مفتاح محمد عبد الجليل، وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، مجلة الدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2000م، ص537، كذلك: سالم سالم شلابي، عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني (طرابلس، 1994م) ص149.

أجداية بقوله: ".... ولها حمامات وفنادق كثيرة...." (60)، ويقول عن مدينة طرابلس بأن بها: "حمامات كثيرة فاضلة..." (61)، وذكر الحميري أنها كثيرة (62)، ويقول صاحب كتاب الاستبصار عن أجداية: "... وبها حمامات وفنادق كثيرة...." (63)، وهو ما أكده ياقوت الحموي في معجمه عند حديثه عن مدينة أجداية وسرت (64).

ويطالعنا ابن سعيد بنص عن مدينة طرابلس يوحى بتميزها عن بقية المدن المجاورة لها في برقة وطرابلس بكثرة حماماتها، وذلك قوله: "..... وعلى الجملة فإذا فارقت طرابلس لا تلقى مدينة فيها حمام إلى أن تصل إلى الإسكندرية...." (65)، وقد أشار التجاني إلى جملة من الحمامات التي شاهدها في طرابلس أثناء إقامته فيها بقوله: ".... ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حمامًا صغير المساحة، إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الطرف نهايته، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها، وهو الآن محبس على بعض المساجد، وبالبلد حمامان آخران غير أنهما في الحسن دونه..." (66).

ومن النصوص السابقة يظهر بوضوح أن مدينة طرابلس وأجداية وسرت هي المدن التي تركزت فيها الحمامات والفنادق، ومرجعية ذلك - حسب اعتقادي - إلى كون هذه المدن كانت تمثل مراكز للتجارة، كما أنها تعد محطات وملتقى لطرق

(60) البكري، المسالك والممالك، 2/651.

(61) المصدر نفسه: 2/655.

(62) الحميري، الروض المعطار، ص 389.

(63) الاستبصار، ص 144، كذلك: الحميري، المصدر السابق، ص 12.

(64) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/100، 3/206، كذلك الحميري، المصدر السابق، ص 12.

(65) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 14، ونقل هذا النص حرفيًا أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 147.

(66) التجاني، الرحلة، ص 237.

القوافل التجارية البرية ومراسي للتجارة البحرية في تلك الفترة، ومع هذا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود الحمامات والفنادق في مدن وقرى غير هذه، خاصة التي توجد فيها الأسواق من ناحية أو ممر لطرق التجارة والحج من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يتطلبه الغرباء للاستراحة والأمان على أنفسهم وأموالهم من اللصوص وقطاع الطرق.

سادسا / المقابر والأضرحة:

تعتبر المقابر والأضرحة من المنشآت المعمارية والتي عادة ما توجد في المدن والقرى، وعندما حل العبدري بمنطقة برقة كان أول ما استرعى انتباهه المقابر الإغريقية المنحوتة في الصخر. يقول العبدري في وصفه لهذه المقابر: ".... ما رأيت في أرض برقة مع اتساعها ما يحلى بعين الرامق وتعلق به مقة الوامق سوى مسكن، ... وقد رأيت نحو هذا في موضع آخر من أرض برقة...."⁽⁶⁷⁾، وعند رجوعه من أداء فريضة الحج وصف مجموعة أخرى من المقابر المنحوتة حيث يقول: "..... ورأيت ما بين جرسون ومراوة أكامًا غليظة دائرة بديار منحوتة منها في حجر صلد.... وتلك الأكام كلها منحوتة ديارًا على تلك الصفة...."⁽⁶⁸⁾. إن هذه المنازل التي يصفها العبدري لم تكن منازل بل هي مقابر منتشرة في معظم المدن الخمس في برقة، والتي أنشأها المستعمرون الإغريق في منطقة الجبل الأخضر، وتعتبر هذه المقابر من أضخم أماكن الدفن في العالم القديم⁽⁶⁹⁾.

(67) العبدري، الرحلة، ص 87.

(68) المصدر نفسه، ص 235.

(69) ذكر أحد الباحثين في الآثار الليبية أن هذه المقابر الإغريقية المنحوتة في الصخر من أهمها مجموعتان إحداها تقع على الطريق القديم المؤدي إلى مدينة سوسة [أبولونيا] والأخرى تلك التي تقع على الطريق القديم المؤدي إلى مدينة البيضاء [يلغراي] وترجع هذه المقابر إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهي تتكون من واجهات منحوتة في الصخر على الطراز الإيواني، لها مداخل بسيطة الشكل تؤدي إلى حجرات للدفن = محمد

وقد تحدث الجغرافيون والرحالة عن العديد من القبور والأضرحة والتي منها لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها للعلماء والصالحين، فيقول البكري في حديثه عن مدينة زويلة: ".... وبزويلة قبر دعل بن علي الخزاعي الشاعر...." (70)، وقال عنه ياقوت الحموي: "... بأنه الشاعر المشهور،...." (71). ومن القبور التي وجدت في إقليم برقة قبر رويغ الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (72).

أما التجاني فقد قدم وصفاً لمقابر طرابلس واتساعها وكثرة القبور بها فقال: ".... ورأيت مقابر طرابلس كلها، فوجدتها قد امتلأت من بني آدم وغلبت عظامهم على تراب الأرض، فلا ترى منها ملء كف من تراب إلا وعليها جمجمة أو عظم ولاسيما الجهة الشمالية منها، وكثيراً ما يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من أهل البلد، وهناك مدفن جثة أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن محمد الهرغي النائر بطرابلس، وكان هذا الرجل قد ظهر في أول دولة الأمير ابن زكرياء

علي عيسى، الآثار الباقية كما وصفا العبدري، مجلة تراث الشعب، منشورات مكتب التراث والفنون، طرابلس، 1990م، العدد الرابع، المجلد رقم (1) ص 57.

(70) البكري، المسالك والممالك، 656/2.

(71) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 160/3.

(72) البكري، المسالك والممالك، 650/2- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 289/1. ورويغ هو بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، صحابي جليل، شهد فتح مصر، ولاه ابن حديج على طرابلس سنة 46هـ وغزا جربة من طرابلس وفتحها سنة 47هـ، توفي ببرقة وهو أمير عليها سنة 53 هـ زمن ولاية مسلمة بن مخلد على مصر بإفريقية من قبل معاوية بن أبي سفيان، وكان قبر رويغ قد درس وانمحت معالمه، وعلى غير قصد عثر إنسان على حجر مكتوب عليه: "هذا قبر روينع بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنذ ذلك أصبح معروفاً في برقة لا يختلف فيه اثنان تلتئم عنده الرحمت بفضل صحبتته للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان له جهاد في إفريقية وحضر فتح مصر" = العسقلاني، شهاب الدين بن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، مطبعة السعادة، ط1 (القاهرة) 14/2، الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 78-79، محمد حسين المرتضى، طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويغ الأنصاري، البيضاء، ص 133.

يحيى ظهورًا عظيمًا، واشتهر بالإقدام والافتحام في الأمور العظام....⁽⁷³⁾، ويحدثنا التجاني عن قبر موجود في الطريق بين قصر صيبان وبئر طشانة بقوله: "... قبر يعرف هذا الموضع به، فصار القبر اسما علما له، وهو لرجل من العرب ثم من دباب ثم من بني عيسى، واسمه شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب، وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد، واشتهر بالكرم، فلم يذكر معه في وقته غيره...."⁽⁷⁴⁾، ويذكر التجاني أثناء إقامته بطرابلس أنه زار بخارج المدينة -بين شرق وشمال- قبر الشيخ الصالح محمد عبد الوهاب القيسي رحمه الله، وهذا الرجل يعظمه أهل طرابلس كثيرًا، حكى لي جماعة منهم: "أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه نحوًا من أربعمئة، وأنه كان يشاور النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل إلا بإشارته...."⁽⁷⁵⁾.

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن قبور الشهداء هذه كانت موجودة قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ولكن مع حلول القرن الخامس الهجري لم يكن لها أثر، ويبدو أنها اندثرت واختفت، ولا زالت هناك مقبرة في مدينة درنة يطلق عليها اسم "قبور الصحابة" إلى وقتنا الحاضر حيث يوجد بها ضريح رويغ الأنصاري وضريح زهير بن قيس البلوي⁽⁷⁶⁾، ولا زال الأهالي يلتزمون الرحمات منها بفضل صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة:

(73) التجاني، الرحلة، ص 267.

(74) المصدر نفسه، ص 310.

(75) المصدر السابق، ص 259.

(76) لمزيد من المعلومات عن الصحابين زهير ورويغ ينظر= محمد حسين المرتضى، طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويغ الأنصاري.

ومن خلال ما سبق توصلنا إلى العديد من النتائج:

1- أن المباني السكنية في إقليم برقة وطرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين، خاصة منها القريبة من ساحل البحر، وخيام وبيوت شعر وقياطين في مناطق جنوب الواحات، والتي عادة ما يكون سكانها يعتمدون في حياتهم ومعايشهم على تربية الحيوانات والرعي.

2- كان الغرض من بناء القصور هو تحصين السواحل والدفاع عنها من أي اعتداء خارجي، وقد ورد ذكرها في كتابات الجغرافيين والرحالة بأعداد كبيرة وإن اختلفت التسمية من جغرافي إلى آخر، فبعضهم يذكرها باسم قصور، والبعض باسم الحصون، والبعض باسم رباط .

3- كان إقليم برقة وطرابلس زاخرين بعدد من الحصون والقلاع والمحارس، وبالرغم من تباين التسميات لها، إلا أن هدفها واحد وهو الدفاع عن الثغور والحدود والمدن سواء في المناطق الساحلية أو في مناطق الواحات .

4- لقد أرتبط بناء الأسوار في إقليم برقة وطرابلس بالمدن الكبيرة حيث مركز السلطة، وغالبًا ما تكون لها أبواب عليها حراسات مشددة، وما هي إلا استكمالات للتحصينات الداخلية والساحلية التي بنوها أو جدوها من حصون وقلاع ومحارس، حيث تجتمع في نهاية المطاف نحو هدف واحد وهو حماية البلاد من أي اعتداء داخلي أو خارجي مرتقب، حيث كانت المنطقة خلال هذه الفترة مصدرًا للعديد من القلاقل والثورات والانتفاضات.

5- من خلال دراستنا يظهر بوضوح أن مدينة طرابلس وأجداية وسرت هي المدن التي تمركزت فيها الحمامات والفنادق، ومرجعية ذلك - حسب اعتقادي - إلى كون هذه المدن كانت تمثل مراكز للتجارة، كما أنها تعد محطات وملتقى لطرق القوافل التجارية

البرية ومراسي للتجارة البحرية في تلك الفترة، ومع هذا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود الحمامات والفنادق في مدن وقرى غير هذه، خاصة التي توجد فيها الأسواق من ناحية أو ممر لطرق التجارة والحج من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يتطلبه الغرباء للاستراحة والأمان على أنفسهم وأموالهم من اللصوص وقطاع الطرق.

6- وبالرغم من وجود الكثير من المناطق الأثرية غير التي ذكرها الجغرافيون والرحالة⁽⁷⁷⁾، فإن المؤرخين لم يهتموا بوصف هذه الأمكنة، ومرجعية ذلك - حسب اعتقادي - اهتمامهم الكبير بدراسة التاريخ السياسي للدول والأمم، الأمر الذي شغلهم عن كتابة ووصف هذه المنشآت المعمارية في الإقليمين، كما أن فتوحات المسلمين ودخول الأعراب من بني هلال وبني سليم للمنطقة - ربما - قلص من هذه المعالم الأثرية القديمة سواء بتدميرها أو بتجديدها وإعادة أعمارها على الطراز المعماري الإسلامي الجديد.

التوصيات:

من خلال قراءة عامة للعمارة الإسلامية في ليبيا وما تتمتع به من معالم حضارية تتم على ازدهار واضح في هذا المجال.

أوصي بتشكيل لجان على مستوى الدولة الليبية تحت مسمى (لجنة الحفاظ على التراث المادي والغير مادي) وبإشراف المشروع الوطني للتراث، ومن كوادرفنية متخصصة في مجال الآثار والتاريخ والسياحة والجغرافيا، وذلك لحصر جميع المعالم الأثرية الحضارية، والوقوف عليها وإجراء الحفريات والدراسات العلمية حولها في محاولة لنفض الغبار عنها والمحافظة عليها من الضياع والاندثار لأنها تمثل تاريخ ليبيا المشرق والمزدهر.

(77) منها على سبيل المثال: شحات - سوسة - طلمیثة - جزمة - توكرة.

كما أوصي بتنظيم العديد من الندوات والمؤتمرات وورش العمل بشكل دوري على مناول هذا المؤتمر الذي فتح آفاق لإبراز ما تتمتع به ليبيا من معالم أثرية مادية وغير مادية على مر العصور إذ يشكل ذلك ارث حضاري يجب المحافظة عليه وتوصيله للأجيال القادمة لإثبات أن ليبيا لها تاريخ حافل ومزدهر كغيرها من البلاد العربية.

المصادر والمراجع :

أولاً المصادر:

- 1- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(ت: 630هـ/1232 م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3 (بيروت، 1980م).
- 2- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله الشريف (ت: 560هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1989م).
- 3- البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ/1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1 (1954م).
- 4- البكري، ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب (تونس، 1992م) جزئين.

- 5- البلاذري، الإمام أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تصحيح: عبد القادر محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية (بيروت، 2000م).
- 6- التّجاني، أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد (ت: حوالي 717هـ/ 1317م). رحلة التّجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1981م).
- 7- ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت: 358هـ/ 968م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، 1992م).
- 8- الحشائشي، محمد بن عثمان التونسي (ت: 1313هـ/ 1895م). رحلة الحشائشي المسماة "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" تحقيق: على مصطفى المصراطي، دار لبنان، ط1 (بيروت، 1965م) .
- 9- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة (بيروت، 1975م).
- 10- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين (ت: 257هـ/ 870م)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطّباع، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1964م).
- 11- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/ 1418م). الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، ط1 (القاهرة).
- 12- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: حوالي 300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد).
- 13- ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر (ت: كان حيًا مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، الأعلام النفيسة، مطبعة بريل (لندن، 1891م) م7.

- 14- ابن رشيد السبتي، أبو عبد الله بن عمر الفهري (ت: 721هـ/1321م) رحلة ابن رشيد السبتي المسماة "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى مكة وطيبة" مخطوط الاسكوريال، تحت رقم "1736".
- 15- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت: 1092هـ/1681م). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1 (تونس).
- 16- ابن سعيد المغربي، ابى الحسن على بن موسى (ت: 673هـ/1274م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (بيروت، 1970م).
- 17- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت: 732هـ/1330م)، تقويم البلدان، تحقيق: رينو، ودي سنان: وألبان ماك كوكين ديسلان (باريس، 1840م).
- 18- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت: أواخر القرن السابع الهجري/ أواخر الثالث عشر الميلادي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 (بيروت، 1980م).
- 19- العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد الحاحي (ت: خلال 700 - 720هـ/ 1300 - 1320م)، رحلة العبدري، تحقيق: أحمد بن جدو، منشورات كلية الآداب (الجزائر) سلسلة رقم (1).
- 20- العياشي، أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر (متوفي: 1090هـ/1702) الرحلة العياشية (فاس، 1316هـ).
- 21- القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت: 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1969م).

- 22-ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان الفاسي (متوفى: 956هـ/ 1548م) وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، راجعة: علي عبد الواحد.
- 23-مجهول، (ت: خلال القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية (بغداد، 1986م).
- 24-المزاكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت: 647هـ/ 1254م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط1 (بيروت، 1998م).
- 25-المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت: 380هـ/ 990م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2 (لندن، 1909م).
- 26-ابن ناصر الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت: 1128هـ/ 1716م). الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم "10030"، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت "818" جغرافيا.
- 27- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: 626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، دار بيروت، دار صادر (بيروت، 1979م).
- 28-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/ 1332م). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، مركز تحقيق التراث (القاهرة، 1983م). الجزء الرابع والعشرون.
- 29-اليقوبوي، احمد بن يعقوب اسحاق بن جعفر (ت: 284هـ/ 897م)، فتوح البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر الكتب السنة والجماعة، دار الكتب الوطنية (بيروت، 2002م). ثانياً المراجع:

- 30- أحمد مختار العبادي. في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية (بيروت، 1972م).
- 31- أمورييس لومبار. الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3 (المغرب، 1990م).
- 32- خير الدين الزركلي. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، ط3.
- 33- سالم سالم شلابي. عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني، ط1 (طرابلس، 1994م).
- 34- الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1 (طرابلس، 1968م).
- 35- الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2 (مصر، 1962م).
- 36- علي فهمي خثيم. الحاجة من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، دار مكتبة الفكر، ط1 (طرابلس، 1974م).
- 37- علي الميلودي عمورة. طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع (طرابلس، 1993م).
- 38- فاتن محمد محمد البناء. محافظة طرابلس - دراسة في جغرافية العمران - رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 1977م، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.
- 39- مجموعة من الباحثين. معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، منشورات اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم (طرابلس، 2007م).
- 40- محمد حسين المرتضى. طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويفع الأنصاري (البيضاء).

- 41- محمد علي عيسى. الآثار الباقية عن القرون الخالية كما وصفها الرحالة العبدري، مجلة تراث الشعب، تصدر عن مكتب التراث والفنون باللجنة الشعبية العامة كالأعلام والثقافة (طرابلس، 1990م) مسلسل رقم (25) العدد (4) المجلد رقم (1).
- 42- محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، أغسطس، 1988م)، العدد 128.
- 43- محمد عبد الهادي شعيرة. الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية "المؤتمر التاريخي المنعقد خلال الفترة من 16-23 مارس 1968م" منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، إشراف: فوزي جاد الله، ضمن سلسلة ليبيا في التاريخ.
- 44- محمد يوسف نجم وإحسان عباس. ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي).
- 45- مفتاح محمد عبد الجليل. وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، مجلة الدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2000م).
- 46- نجم الدين غالب الكيب. مدينة طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1978م) ط2.